

مجلة دراسات تاريخية

ISSN: 9741-2352 EISSN :6723-2600

علاقة الشيخ محي الدين بالسلطة العثمانية بباليك الغرب أواخر العهد العثماني1797 /1832

The Relationship of Sheikh Muhyi al-Din with the Ottoman Authority in the Western Beylik during the Late Ottoman Period 1797/1832

ط.د/ ناصر فدول Phd. Nacer Fedoul جامعة الشلف (الجزائر) nacerfedoul0@gmail.com	أ.د / خالدي بلعربي Dr. Khaldi Belarbi جامعة الشلف (الجزائر) khaldibelarbi02@gmail.com

الارسال: 25/10/27 القبول :25/11/30 النشر:25/12/05 المرسل: ط.د/ ناصر فدول

الملخص:

يتناول هذا المقال سيرة الشيخ محيي الدين بن مصطفى الغريسي ودوره في بايليك الغرب أواخر العهد العثماني، من خلال قيادته للطريقة القادرية التي تحولت على يديه إلى قوة علمية و دينية واجتماعية واسعة النفوذ. فقد جعل من زاوية القيطنة مركزًا للإشعاع العلمي والثقافي، ونسج بفضل مكانته علاقات متينة مع القبائل والسلطة، قبل أن يتصاعد نفوذه إلى درجة أثارت مخاوف الباي حسن بن موسى فانقلبت العلاقة من الاحترام إلى التوتر والإقامة الجبرية،وتبين الدراسة أن علاقة الشيخ محيي الدين بالسلطة العثمانية اتسمت بالتذبذب بين التعاون والصدام، تبعًا للظروف السياسية والعسكرية وكذا الاجتماعية للمنطقة. كما أن السياسات القمعية للبايات ساهمت في تعميق الهوة مع الطرق الصوفية والعلماء، وهو ما انعكس سلبا على موقف القبائل من الباي حسن، ومهّد لسقوط بايليك الغرب في يد الاحتلال الفرنسي سنة 1831، وبروز مرحلة جديدة من المقاومة بقيادة الأمير عبد القادر.

الكلمات الدالة : الشيخ محي الدين؛ الطريقة القادرية؛ السلطة العثمانية؛ حسن بن موسى.

Abstract

This article explores the life of Sheikh Muhyi al-Din al-Ghrissi and his role in the Beylik of the West during the late Ottoman period, through his leadership of the Qadiriyya order, which under his guidance became a powerful religious, scholarly, and social force. He transformed the Qitna Zawiya into a center of intellectual and cultural influence, establishing strong ties with tribes and authorities, until his growing influence raised the fears of Bey Hassan ibn Musa, shifting their relationship from respect to tension and house arrest. ًThe study reveals that Sheikh Muhyi al-Din's relationship with the Ottoman authority oscillated between cooperation and conflict, shaped by the political and social conditions of the region. The oppressive policies of the beys deepened the rift with Sufi orders and scholars, influencing the tribes' stance against Bey Hassan and paving the way for the fall of the Western Beylik to French colonial forces in 1830, and the emergence of a new stage of resistance under Emir Abdelkader.

Keywords. Sheikh Muhyi al-Din; Qadiriyya order; Ottoman authority; Hassan ibn Musa

مقدمة:

تُعدّ الطريقة القادرية من أبرز الطرق الصوفية التي حظيت بمكانة وانتشار واسع في الجزائر لاسيما في الغرب الجزائري، حيث برزت معالمها على يد الشيخ مصطفى بن المختار خلال العهد العثماني. وقد أصبح لهذه الطريقة تأثيرًا بالغا في المنطقة، حتى غدت من أهم الطرق الصوفية الفاعلة. ويُعزى الفضل في ذلك إلى العائلة القادرية الشريفة التي ساهمت في رسم ملامح الحياة الدينية والثقافية، بل والاجتماعية أيضًا في بايليك الغرب.

ومن بين الشخصيات البارزة التي لعبت دورًا محوريًا أواخر العهد العثماني، تبرز شخصية الشيخ محيي الدين؛ العالم والفقيه والمدرّس والمجاهد. فقد كان له الفضل في نشر الطريقة القادرية وتعاليمها، وتنشيط الحركة العلمية انطلاقا من الزاوية التي تحوّلت إلى مدرسة للعلوم الشرعية واللغوية، ومنارة ثقافية امتد إشعاعها إلى مناطق بعيدة داخل الوطن وخارجه. وقد أكسبه هذا الدور مكانة رفيعة، وحظوة ونفوذًا واسعًا، فحاز تقدير القبائل واحترامها، بل نال أيضًا مكانة لدى السلطة العثمانية نفسها.

غير أنّ هذا النفوذ المتزايد أثار مخاوف السلطة من احتمال تحوله إلى تهديد مباشر للحكم، كما أيقظ مشاعر الغيرة والحسد لدى بعض الخصوم وأصحاب القلوب المريضة، فتعكّرت العلاقة بينه وبين السلطة، ولا سيما مع الباي حسن بن موسى، آخر بايات وهران، الذي عُرف بتسلطه على العلماء والأولياء. ورغم أنّ العلاقة بين الرجلين اتسمت في بدايتها بالاحترام والتقدير، إلا أنّها سرعان ما توترت حين مُنع الشيخ محيي الدين من أداء فريضة الحج برفقة ابنه عبد القادر، ووضعا تحت الإقامة الجبرية. وقد شهدت تلك الفترة أحداثًا متسارعة انتهت بسقوط وهران في قبضة الاحتلال الفرنسي ونفي الباي حسن إلى الإسكندرية، بينما أعلن الشيخ محيي الدين الجهاد ضد المحتل.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في إبراز طبيعة العلاقة التي جمعت الشيخ محيي الدين بالسلطة أواخر العهد العثماني خاصة فترة الباي حسن بن موسى، وتوضيح جانب مهم من تاريخ بايليك الغرب. ومن هنا نطرح الإشكالية الرئيسة الآتية: ما طبيعة العلاقة التي ربطت الشيخ محيي الدين بالسلطة العثمانية في بايليك الغرب أواخر العهد العثماني؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية، اعتمدنا المنهج التاريخي التحليلي، من خلال طرح مجموعة من التساؤلات الفرعية:

- من هو الشيخ محيي الدين بن مصطفى؟
- وكيف كانت صِلاته بالسلطة العثمانية أواخر العهد العثماني؟
- وماهي المآلات التي آلت إليها العلاقة بين الشيخ محي الدين والسلطة؟
- وإلى أي مدى أثرت عملية المد والجزر في علاقة الشيخ بالسلطة على سقوط وهران في يد الاحتلال الفرنسي ؟

1. انتشار الطريقة القادرية في الجزائر:

تنتسب الطريقة القادرية إلى مؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت 561هـ/1166م)، الذي أسس طريقته في القرن السادس الهجري بمدينة بغداد[1]. وتُعد هذه الطريقة من أعرق الطرق الصوفية في العالم العربي و الإسلامي، إذ حظيت بانتشار واسع في المشارق والمغارب، وقد وصلت الطريقة القادرية إلى المغرب العربي عن طريق الاتصال بالمشرق، ولا سيما من خلال مصر، كما انتقلت إلى المغرب الأقصى عبر مدينة فاس، وذلك بفضل ذرية الشيخ عبد القادر الجيلاني، وهما الشيخ إبراهيم والشيخ عبد العزيز، اللذان هاجرا من الأندلس إلى فاس، فنشرا تعاليم الطريقة فيها[2]، ومن ثم تفرعت وانتشرت إلى مناطق متعددة من العالم الإسلامي.

ويُعدّ الشيخ أبو مدين شعيب (ت 594هـ) من أوائل من ساهموا في نشر الطريقة القادرية في المغرب العربي. فقد تلقى تعاليمها مباشرة من القطب الشيخ عبد القادر الجيلاني حين اجتمع به في مكة، ومنها انتقلت إلى الأندلس، ثم إلى مدينة فاس عبر الهجرات الأندلسية[3]. ومن هناك نفذت إلى الجزائر لتتوسع في مختلف المناطق، حيث تأسست العديد من الزوايا القادرية. كما ساهم الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبد القادر الجيلاني في نشر الطريقة القادرية، إذ انتقل أولًا إلى المغرب الأقصى، ثم واصل رحلته إلى الجزائر ليستقر في منطقة الأوراس بشرق البلاد، حيث أسس زاوية في منطقة منعة، جعلها منارة لنشر تعاليم الطريقة القادرية[4].

وانتشرت في الجزائر قبل الوجود العثماني طريقتان صوفيتان بارزتان، هما: الطريقة القادرية والطريقة الشاذلية. غير أنّه بعد قدوم العثمانيين تضاعف عدد الطرق حتى بلغ أكثر من ثلاثٍ وعشرين طريقة، وكثر شيوخ الزوايا ومقدّموها ومريدوها، حتى وصل عددهم إلى ما يقارب ثلاثة آلاف مريد[5]. وقد ساهم الدخول العثماني إلى الجزائر في تأسيس العديد من الزوايا، حيث قدّمت السلطة العثمانية لها الدعم والتحالف، خاصة في مواجهة العدوان الصليبي الإسباني، ولا سيما عند استرجاع مدينة وهران. وقد تميّزت علاقة الزوايا بالسلطة العثمانية بالود والتعاون طوال القرن الأول من الحكم العثماني في الجزائر[6]كما لقيت الطريقة القادرية على وجه الخصوص دعمًا وتشجيعًا مباشرين من السلطة[7]. وتُعد الطريقة القادرية أصل الطرق الصوفية التي ظهرت في الجزائر لاحقًا، مثل: المدينية، والشاذلية، والرحمانية، والتيجانية، والشيخية، والسنوسية وغيرها[8].

وقد كان ظهور القادرية في الغرب الجزائري أولًا بمنطقة غريس، حيث أسس الشيخ مصطفى بن المختار الغريسي[9] أول زاوية لها في القيطنة[10]سنة 1200هـ/1785م، فتحوّلت إلى منارة علمية بارزة في بايليك وهران، وذات نفوذ واسع[11]. وكانت من أهم الزوايا التي نشّطت الحركة الصوفية في الجزائر، بفضل تعاليمها التي اعتمدت على التسامح والاعتدال ونبذ التعصب واتباع السنة. وقد ارتبط مريدوها بمبادئ القطب الولي سيدي عبد القادر الجيلاني، الذي أوصى بقوله: **"اتّبعوا ولا تبتدعوا، وأطيعوا ولا تخالفوا، واصبروا ولا تجزعوا، واتّحدوا ولا تتمزقوا، وانتظروا ولا**

تيأسوا، واجتمعوا على الذكر ولا تتفرقوا، وتطهّروا من الذنوب ولا تتناطحوا، وعن باب مولاكم فلا تبرحوا"[12].

وقد سافر الشيخ مصطفى بن المختار لأداء مناسك الحج، وبعد إتمامها واصل رحلته إلى بغداد لزيارة مقام القطب الصالح عبد القادر الجيلاني. وفي حجه الثاني، وأثناء عودته، توفي في طرابلس الغرب بمنطقة عين الغزالة ببرقة سنة 1212هـ/1797م، حيث ضريحه لا يزال مزارًا حتى اليوم[13]. وبعد وفاته، تولّى مقاليد الطريقة والزاوية ابنه الشيخ محي الدين، الذي واصل مسيرة والده في ترسيخ الطريقة القادرية في الغرب الجزائري.

2. الشيخ محي الدين:

1.2. نسبه ومولده :

هو العلّامة المجاهد الحاج محي الدين بن الشيخ مصطفى القادري بن محمد بن المختار بن عبد القادر، المعروف بـ سيدي قادة بن أحمد المختار بن عبد القادر بن أحمد، المشهور بـ ابن خدة[14]. وينحدر نسبه من محمد بن عبد القوي بن علي بن أحمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي[15]، ثم إلى أحمد بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب "كرم الله وجهه"، والسيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ[16].

ووُلد الشيخ محي الدين سنة 1190هـ/1776م[17]، في أسرة عُرفت بالعلم والورع. وتلقّى مبادئ العلم الأولى على يد والده الشيخ مصطفى في زاويته بالقيطنة، وبعد أن اشتد عوده وانفتح عقله رحل الى مستغانم فنهل من علوم مشائخها. حيث أخذ العلم عن علمائها الذين أجازوه، فعاد فقيهًا عالمًا ومدرّسًا بالزاوية[18]، وقد وصفه محمد السعيد بقوله: «**كان من العلماء والمتقين العاملين، الذاكرين الله آناء الليل وأطراف النهار**»[19].

2.2. عائلته:

تزوّج الشيخ محي الدين من أربع زوجات، وهنّ: وريدة بنت سي الميلود، وهي والدة السيدين محمد السعيد ومصطفى؛ وفاطمة بنت سي دحو، التي أنجبت له السيد الحسين؛ ثم الزهراء أو الزهرة بنت الشيخ العلّامة عبد القادر بن دوخة، وهي والدة الأمير عبد القادر وأخته خديجة؛ إضافة إلى السيدة خيرة، والدة السيد المرتضى[20]. وقد رزق الشيخ محي الدين من هذه الزيجات بستة أولاد، وهم: محمد السعيد، ومصطفى، والحسين، والأمير عبد القادر، وأحمد، وأبو بكر، كما أنجب ثلاث بنات هن: عائشة، وزهرة، وخديجة[21].

وكان للشيخ محي الدين شقيقان، أخوه الشيخ العلّامة علي أبو طالب، وأخته السيدة ليلى كلثومة التي تزوجت من العلّامة أحمد بن التهامي، وأنجبت منه العلّامة مصطفى بن التهامي، الذي أصبح لاحقًا صهرًا للأمير عبد القادر. أما والدته فهي ابنة الفقيه القاضي أحمد أبو معزة، الذي يُعدّ جده من جهة الأم. كما كان لأخواله حضور علمي وقضائي بارز، حيث كان من بينهم الشيخ العلّامة

عبد الرحمن، الذي تولّى منصب قاضي وهران في عهد الباي حسن آخر بايات وهران، إضافة إلى القاضي التهامي، والشيخ مصطفى[22].

3.2. مشيخته للزاوية القادرية:

ورث الشيخ محيي الدين العلم والفقه عن والده، فغدا عالمًا فقيهًا وذا خبرة وحنكة في القيادة، واقترن علمه بمكانة اجتماعية ودينية بارزة. وبعد وفاة والده سنة 1212هـ/1797م بمنطقة برقة في طرابلس الغرب عقب عودته من رحلة الحج، تولى الشيخ محيي الدين رئاسة الزاوية القادرية بالقيطنة، ففتح بذلك عهدًا جديدًا لمشيختها. وفي عهده، زاد انتشار العلم والعلوم داخل الزاوية، فأصبحت مقصدًا للعلماء والرحّالة وطلاب العلم من مختلف الأقطار. وقد وصفه محمد باشا بقوله: **«وشُدّت إليه الرحال من الضواحي والأمصار لتلقّي العلوم وتلقين الأذكار، وقد جَبَل الله النفوس على محبته، والقلوب على مودته، فما رمقه طرف إلا أحبّ أن يفديه بفؤاده، ولا نال أحد دعوته إلا ظهرت بركتها في نفسه وماله وأولاده»**[23].

كما ذكره بلمار بأنه: **«كان رجلًا متدينًا يخاف الله»**[24]. وقد مدحه الشيخ السنوسي بن عبد القادر الدحاوي في قصيدة جاء فيها:

وأنتَ ما زِلْتَ تَهْدِينا إلى السُّنَنِ تَهْدِي إلى الحَقِّ لم يَثْنِكَ طُغْيانُ

تُقْرِي الضُّيوفَ وتَسْعَى في حَوائِجِهِمْ وتَحْمِلُ الكَلَّ لا غِشٌّ ولا رانُ

مَنْ يَسْتَجِرْ بِكَ يا مَنْ إنْ عَداهُ عَدَتْ تَحْمِي الذِّمارَ ويُرْجَى مِنْكَ إحْسانُ[25]

ولقد منح الشيخ محيي الدين لزاوية القيطنة نفسًا جديدًا وشهرة واسعة، حتى تنوعت فيها مختلف العلوم الدينية والدنيوية. فتحوّلت إلى مركز إشعاع ثقافي ومؤسسة دينية بارزة، اشتهرت بتدريس القرآن الكريم، والفقه، والحديث، والتفسير، والنحو، والصرف، كما استقطبت العديد من العلماء والمدرّسين الأكفاء. ومن بين هؤلاء الذين درّسوا بها الشيخ العالم أبو راس الناصري[26].

كما تتلمذ على يد الشيخ محيي الدين عدد من العلماء والطلبة، منهم: شقيقه الشيخ أبو طالب، وابنه الأمير عبد القادر، وابن عمه الشيخ ابن المختار، والعلامة عبد الله المشرفي، والشيخ محمد بن الخضير المهاجي، وغيرهم[27]. وقد عجّت الزاوية بمجالسهم العلمية التي بلغت سبعة مجالس داخل مسجدها. وأما عدد طلبتها فقد تراوح بين خمسمائة إلى ستمائة طالب، فضلًا عن كثرة المريدين الوافدين من داخل الجزائر وخارجها، حيث كانت جنبات الزاوية تعلو بأصواتهم المرتّلة لكتاب الله[28].

4.2. كراماته :

ذُكر عن الشيخ محيي الدين العديد من الكرامات والخوارق[29]. ومن أشهرها ما وقع مع زعماء الحشم الأربعة المعروفين بأولاد بونقاب، حين نشبت خصومة بينهم وبين باي وهران الباي بوكابوس (1813/1808)، الذي عزم على القضاء عليهم. فالتجأ هؤلاء إلى بيت الشيخ محيي الدين طلبًا للحماية. وعندها أغارت جنود الباي بقيادة آغا الزمالة المرسلي ونائب آغا الدوايرة محمد بن داوود،

فحاصروا بيت الشيخ. غير أنّ الشيخ دعا على الباي وجنده، ودعا للفرسان الأربعة بالنصر، وأمرهم بالخروج على خصومهم. فدبّ الرعب في صفوف الجنود، فانهزموا عائدين إلى وهران، حيث قُتل الأغا محمد بن داوود وجُرح الأغا المرسلي. وعندما بلغ الخبر الباي بوكابوس، أصيب بمرض في عينيه، وقيل إنّ ما أصابه كان نتيجة دعوة الشيخ عليه بعد انتهاك حرمة بيته. وعندئذ أرسل الباي إلى الشيخ محيي الدين يطلب العفو والدعاء له بالشفاء، فاستجاب له الشيخ ودعا له، فشُفي من علته[30].

كما رُوي عن الأمير عبد القادر أنّه نقل عن والده رؤيا رآها الشيخ محيي الدين، إذ ظهر له الباي بوكابوس في المنام في صورة كبش، فرأى أنه يذبحه ويسلخه. وقد تحققت الرؤيا لاحقًا، إذ تمرّد الباي على سلطة الداي، فأُمر بقتله وسلخه، وبقي يُعرف بعد ذلك بـ المسلوخ[31].

ومن كراماته أيضًا أنّ رحلته إلى الحج جاءت تحقيقًا لرؤيا، إذ رأى في منامه أنّه ذاهب إلى الحج مع ابنه في موكب كبير، فاستبشر خيرًا بذلك. وقد تحققت رؤياه بعد ذلك، فأدى مناسك الحج كما رآها في المنام[32].

3. علاقة الشيخ محيي الدين بالسلطة الحاكمة

1.3. التعاون والمهادنة

شجع العثمانيون منذ استقرارهم في بايليك الغرب بناء الزوايا والأضرحة والرباطات، وربطوا علاقات متينة مع الطرق الصوفية وشيوخها[33]. وقد شمل هذا الدعم الطريقة القادرية التي كان لها دور بارز في التحالف أواخر القرن الثامن عشر ضد الاحتلال الإسباني من أجل استرجاع وهران. فقد كان الشيخ مصطفى بن المختار، والد الشيخ محيي الدين، من المقربين إلى الباي محمد الكبير، الذي وقّره وأجّل مقامه الكريم، وأولاه عناية خاصة تقديرًا لدوره في فتح وهران. وكان الشيخ كثير الدعاء للباي وللمسلمين[34].

وحافظ بايات الغرب على احترامهم لشيوخ القادرية وزاويتهم منذ عهد الباي محمد الكبير وحتى البايات المتأخرين[35]. وقد أصبحت الزاوية القادرية ملاذًا للفارين من بطش السلطة وملاحقاتها. ففي عهد الباي المقلّش، وبعد القضاء على تمرد ابن الشريف الدرقاوي، لجأت أسرته إلى زاوية القيطنة طلبًا للأمان، فما كان من الباي إلا أن عفا عنهم احترامًا لمقام الشيخ محيي الدين وتعظيمًا لقدسية الزاوية. وقد وصف محمد باشا ذلك بقوله: «**ونزلوا في حمى سيدي الجد بالقيطنة لائذين به، فعفا عنهم الباي حفظًا لذمته ورعاية لمقامه، وأذعن الناس للحكومة، وتسابقوا للدخول في طاعتها**»[36].

ولقد ساعدت مكانة الزاوية القادرية وانتشار أفكارها ومريديها على توطيد علاقتها بالسلطة في بايليك الغرب، وزادت هذه الروابط مع صعود مكانة الشيخ محيي الدين وهيبته بين الناس. فقد عُرف بكرمه على الفقراء والمرضى والمساكين، إذ خصص جزءًا كبيرًا من محاصيله لهم[37]، وبهذا أصبح محبوبًا لدى القبائل، ومقربًا من البايات، وكثير الزيارات لهم، في وقتٍ انتشرت فيه الطريقة

القادرية عبر كامل بايليك الغرب ووصل إشعاعها حتى الصحراء[38]، وهو ما زاد من قوتها وهيبتها فأصبح البايات يتخوفون من شيوخها ومريديها، وأضحى التقرب منهم مصلحة مهمة لكسبهم .

وكان البايات يكرمون الشيخ محيي الدين ويستقبلونه استقبالا يليق بمقامه. فعند تهنئته الباي المقلش بانتصاره على الدرقاويين، رحّب به وأجلسه بين المقربين. ولكن بعد مغادرته، التفت الباي إلى مجلسه وقال: «**إننا لا نخشى من ابن الشريف وأمثاله، وإنما نخشى من صولة هذا** »[39]. يقصد الشيخ محي الدين، وهذا التصريح يعكس مخاوف الباي من نفوذ الشيخ بين القبائل وهيبته المتصاعدة.

وقد كان الشيخ محيي الدين حذرًا، إذ تجنب دعم التمردات الصوفية التيجانية والدرقاوية ضد الحكم العثماني، رغم إدراكه لقسوة البايات وتعسفهم، خاصة تجاه القبائل المحرومة من تصاريح الرعي إلا بتزكية من شيوخ الزوايا. كما لاحظ أثناء رحلته إلى وهران حجم الجباية الباهظة التي فرضتها السلطة على بعض القبائل[40].

ولذلك انتهج الشيخ محيي الدين موقفًا سلميًا قائمًا على الاحترام المتبادل مع السلطة، تجنبًا لزعزعة الاستقرار كما حدث مع الدرقاوية والتيجانية. ومع ذلك، لم يمنعه هذا من قول كلمة الحق أمام البايات، خصوصًا مع تفاقم تجاوزاتهم، مثل ما حدث مع الباي حسن[41] الذي فرض عليه لاحقًا الإقامة الجبرية. وقد شهد الأمير عبد القادر بنفسه تلك التجاوزات في وهران[42].

ورغم الإقامة الجبرية التي فرضها الباي حسن على الشيخ محيي الدين وابنه في وهران، إلا أنّ معاملتهما كانت أقرب إلى معاملة العلماء والمثقفين. فقد كان يُسمح لهما بالتنقل بين المساجد ودور العلماء، وحضور المجالس العلمية، وإن كانا مراقبين بالحرس. وقد وصف الزياني هذا الوضع بقوله: «**أسكنه بوهران بمنزلة المثقف**»[43]. وهكذا اقتصرت الإقامة الجبرية على حدود مدينة وهران، ولكنها لم تمنع الشيخ من التواصل مع العلماء والمشايخ. غير أنّ هذه المرحلة مثلت بداية التوتر الحقيقي بين الشيخ محيي الدين والسلطة العثمانية، حيث باتت تخشى نفوذه المتنامي خارج وهران أمام سلطتها الآخذة في التراجع[44].

2.3. التوتر والعداء

مع بدايات القرن التاسع عشر، شهدت الجزائر وبايليك الغرب على وجه الخصوص تحولات عامة معقدة أثرت في طبيعة العلاقة بين الطرق الصوفية والسلطة العثمانية. فقد ازدادت سطوة البايات وضغوطهم على الأهالي والعلماء وشيوخ الزوايا، مما ولّد حالة من الاحتقان وعدم الرضا[45]. كما ساهم تخوّف البايات من الطرق الصوفية في تعكير صفو العلاقة، حيث أخذت السلطة تبحث عن أي وسيلة لإخضاعها أو على الأقل ضمان تبعيتها المباشرة.

ورغم العلاقة الجيدة التي جمعت معظم بايات وهران بالطريقة القادرية، إلا أنّ انتشار التمردات وعلى رأسها حروب الدرقاوة (1813/1804م)ضد الحكم العثماني، أفسد هذه العلاقة. فقد بدأت السلطة تنظر إلى جميع الطرق الصوفية باعتبارها قنابل موقوتة يمكن أن تنفجر في وجهها في أي

لحظة. وهكذا غيّرت من أسلوبها في التعامل معها، واتسع نطاق ضغطها ليشمل شيوخها وعلماءها دون تمييز بين مؤيد ومعارض.

وقد أنكر العديد من العلماء وشيوخ الطرق الصوفية هذه الأساليب التعسفية للسلطة، خاصة في عهد الباي حسن بن موسى، آخر بايات وهران. فقد كانت أغلب صور التوتر بين العلماء والسلطة في عهده، ووصفها المزاري بقوله: «**اجترأ على العلماء والأولياء... فبان منه الجور والظلم والتعري...**»[46].

4. أسباب توتر العلاقة بين الشيخ محي الدين والسلطة

كان من أبرز أسباب التوتر بين الشيخ محي الدين والسلطة تخوّف الباي حسن بن موسى من نفوذ الشيخ وسمعته الواسعة، وهذا التخوف ليس وليد فترة الباي فقط بل يعود أيضا الى البايات الآخرين كالباي المقلش الذي حذر منه، إضافة الى نفوذ الشيخ محي الدين والطريقة القادرية بشكل عام،إذ خشي الباي حسن أن يتحوّل إلى تهديد مباشر لحكمه. فقد كان الشيخ يحظى بمقام رفيع بين الناس، وله أتباع ومريدون كثر، وذاع صيته داخل البايليك وخارجه بفضل علمه ومشيخته ومواقفه الناقدة لقسوة البايات والقياد ومظالمهم، دون الدخول في مواجهة مباشرة معهم. هذا الحضور البارز أثار غيرة الحاسدين وفتح الباب أمام تآمر السلطة عليه عبر الوشاية. وقد نقل محمد باشا في تحفة الزائر قول أحد الوشاة مخاطبًا الباي: «**إني أرى هذا الرجل قد علت رتبته وبعد صيته، و إنه كما تراه مسموع الكلمة عند جميع الناس، خصوصًا أهل هذه الولاية، وأخشى أن تكون على يده فساد أمرك وخراب حكومتك**»[47]. وقد زاد هذا الكلام من مخاوف الباي، فاستدعى الشيخ محي الدين إليه.

ولقد كانت الوشاية ظاهرة شائعة في تاريخ البايليك، خصوصًا ضد العلماء، ما عمّق الشرخ بين الشيخ محي الدين والباي حسن. فقد أضرت الوشاية الكثير من العلماء، مثل الشيخ أبي راس الناصري الذي فقد منصبه بعد اتهامه بمناصرة التمردات رغم قربه من السلطة، فاضطر إلى تأليف كتابه درء الشقاوة في حرب درقاوة[48]. وقد شكّلت الوشاية أداة لتشويه سمعة العلماء وإيداع بعضهم السجن، بل وأودت بحياة آخرين. ومن هنا وجد خصوم الشيخ محي الدين في الوشاية وسيلة للنيل من مكانته ونفوذه، وقد أشار محمد باشا الجزائري إلى ذلك بقوله: «**وقد حسده بعض معاصريه فوشى به إلى حسن باي...**»[49].

وزاد التوتر حين اتهم الباي حسن شقيق الشيخ، العلّامة علي أبو طالب، بدعم تمرد التيجانية ومساندتها، خاصة بعد أن قضى الباي على التيجانية في معركة عواجة سنة 1820م. وقد أدى ذلك إلى توجيه الأنظار إلى القادرية نفسها، ففرضت عليها ضرائب وغرامات أثقلت كاهل أتباعها، كما حدث مع قبيلة هاشم التي أُرغمت على دفع غرامة قدرها خمسون ألف ريال بوجو[50].

ومن بين الأسباب التي فاقمت التوتر أيضًا أنّ الباي حسن استدعى الشيخ محيي الدين إلى وهران، مانعًا إياه من السفر لأداء مناسك الحج، بحجة حمايته من حسادٍ وخصوم ومن داي الجزائر الذي قيل إنه أراد سجنه بعد عودته من الحج. وقد استقبله الباي في قصره قائلًا: «**إن قلبي كان يموج بالقلق عليك**»[51]. فأجابه الشيخ محيي الدين: «**من أجل أن أجلو عنكم هذا القلق، أيها الممثل القدير للباب العالي، وخليفتنا المحبوب . حفظه الله ورعاه . استجبت سريعًا لدعوتكم السابقة**»[52]. وقد كانت هذه الخطوة سياسة متعمدة من الباي لإبعاد الشيخ عن أتباعه وزاويته، وإبقائه تحت نظره المباشر.

5. الشيخ محي الدين ونجله تحت الإقامة الجبرية:

أراد الشيخ محيي الدين القيام بفريضة الحج رفقة ابنه عبد القادر، إذ في الخامس من شهر أكتوبر سنة 1238هـ/1823م[53] خرج ركب الحج من معسكر صوب البقاع المقدسة. غير أنّ سمعته الطيبة عند الناس ومحبته لدى مريديه جعلت الناس يتوافدون من مختلف أنحاء البايليك لمرافقته في رحلته الحجازية، حتى ازدحم المكان بالجموع حوله في وادي جديوية. وفي اليوم السادس من مقامه هناك، دخل عليه مبعوث من الباي حسن بن موسى يدعوه إلى الحضور إلى وهران[54]. ومع انتشار الخبر، عمّت الفوضى بين الأهالي، واشتدّ تخوفهم من نوايا الباي تجاه الشيخ. إلا أنّ الشيخ محيي الدين ارتأى الامتثال لأمر الحاكم، إذ كان يرى وجوب طاعته، فخرج إلى الناس مبررًا ذهابه ومقنعًا لهم بقراره. وهكذا أوقف رحلته إلى الحج، وتوجّه إلى وهران رفقة ابنه عبد القادر للقاء الباي[55].

1.5. طبيعة الإقامة الجبرية:

بعد أن طلب الباي حسن بن موسى من الشيخ محيي الدين وابنه التوجّه إلى وهران والإقامة بها، مُنعا من السفر لأداء مناسك الحج، وبقيا بذلك حبيسي مدينة وهران[56]. وقد وضع الباي حرسًا خاصًا لمراقبتهما طوال فترة الإقامة، ما يعكس تخوفه من احتمال قيام الشيخ باتصالات مشبوهة أو تحركات تهدد سلطته. وكان هؤلاء الحرّاس يلازمون الشيخ وابنه في كل تنقلاتهما، حتى داخل المنازل والمساجد والمدارس، مما جعلهما في وضع يشبه السجن بلا جدران. وقد وصف تشرشل ذلك بقوله: «**وُضع حرس تركي حولهما، و أينما حلا كان الجنود رفقتهما، فكان الجنود يدخلون معهما منازل أصدقائهما، ويقفون بجانبهما في المساجد، فكانا سجيني الدولة**»[57].

واستمرت هذه الإقامة الجبرية سنتين كاملتين، لم تكن مجرّد فترة راحة أو استجابة ظاهرية لطلب الباي، بل تحولت إلى فرصة ثمينة استغلها الشيخ محيي الدين وابنه في طلب العلم ومجالسة أهل الورع والمعرفة. وقد برز ذلك خصوصًا في شخصية الابن عبد القادر، الذي اغتنم هذه الفترة لمرافقة والده في حضور الدروس العلمية والمجالس الدينية في مساجد وهران ومدارسها، فاحتكّ بشيوخها وعلمائها وأفاد من معارفهم[58].

2.5. الإفراج عن الشيخ محيي الدين

بعد مضي سنتين من الإقامة الجبرية في وهران، أفرج عن الشيخ محي الدين سنة 1825م، بعد اقتناع الباي حسن بن موسى بصدق سريرة الشيخ محيي الدين، وأنه من أهل العلم النافع والنسب الشريف، فأذن له ولابنه بالسفر لأداء مناسك الحج[59]. وقد جاء هذا القرار أيضًا نتيجة تدخل جماعة من العلماء والقياد وحاشية الباي، بل وحتى زوجته التي تأثرت بما بلغها من مدح لعلم الشيخ وقوة شخصيته وسمو أخلاقه، فتعاطفت معه ودفعت في اتجاه إطلاق سراحه[60].

ويصف محمد باشا هذا الموقف بقوله: «**ثم إن أهل الديوان من دائرة الباي وخاصته، قد تحققوا فضل سيدي الجد وولايته، وما انطوى عليه ضميره، وثبت لديهم أن ما رُمي به مجرد إفك وبهتان وحسد وعدوان، فعرفوا بذلك سيدهم، ولما تحقق صفاء طويته أطلق سراحه...**»[61].

وأمام السمعة التي يتمتع بها الشيخ محي الدين والحظوة الواسعة بين الأهالي، وبعد سماع خبر رحلته الى الحج انظم إليه كثير من الفرسان في سبيل حراسته في رحلته، خاصة بعدما أشيع من أخبار حول محاولة الباي نفيه من البلاد خوفًا من شعبيته التي يتمتع بها، فحاول الباي الاستفسار عن طبيعة تلك الحشود. إلا أنّه هذه المرة أمر باعتقالهما[62]. وهنا وقف الأمير عبد القادر موقفًا جريئًا، مخاطبًا الباي بقوله: «**نحن مسافرون للحج، وما هذا الحرس إلا القدر الذي يتناسب ومخاطر الطريق، فإذا شئت ركبنا السفينة أمامك للسفر، وإلا فلستُ مسؤولًا عن نتائج اعتقالنا**»[63]

ويحمل هذا الخطاب في طياته نبرة تنديد وتهديد مبطن، ويكشف عن بدايات بروز شخصية الأمير عبد القادر القيادية وعن عنفوان شبابه. وقد أدرك الباي أنّ ما صدر عن الابن ينذر بما قد يصدر عن الأب، الأمر الذي عمّق مخاوفه من مكانة الشيخ محيي الدين ونفوذه المتعاظم، ما جعل الباي يسمح لهما بالحج ويطلق سراحهما.

6. رحلته إلى الحج

بعد الإفراج عن الشيخ محي الدين وابنه، استأنفا رحلتهما نحو البقاع المقدسة، فجدد الشيخ نيته وعزم على أداء فريضة الحج، مستأنفًا بذلك رحلته الروحية التي حالت دونها مؤامرات السلطة، فانطلق في نوفمبر سنة 1241هـ/1825م[64]. وقد جعل هذه الرحلة الدينية فرصة لتعميق معارفه، وتحصين علمه، واستثمر مدة الإقامة في أداء مناسك الحج مرتين.

وانطلق الشيخ محيي الدين وابنه في حجتهما الأولى أواخر سنة 1825م من وهران متجهين إلى المدية، ومنها إلى قسنطينة، قبل أن يعبروا نحو تونس لاستكمال الرحلة بحرًا. وهناك التحقوا بركب الحجيج القادمين من مختلف مناطق المغرب الإسلامي، حيث اجتمع ما يقارب ألف حاج، وظلوا في انتظار تحسن الظروف المناخية للإبحار نحو الإسكندرية.

وعند وصوله إلى مصر، قام الشيخ محيي الدين بعدة زيارات روحية، أبرزها زيارة مقامات أوليائها مثل مقام ابن عطاء الله السكندري. ثم واصل رحلته عبر قناة السويس متجهًا برًّا إلى مكة المكرمة،

حيث أدى مع ابنه مناسك الحج سنة1242هـ/ 1826م. وبعد إتمام المناسك، انتقل إلى المدينة المنورة، حيث لازم علمائها وحضر مجالسها العلمية، مواصلًا بذلك نهجه في الجمع بين العبادة وطلب العلم[65].

1.6. زيارته لمقام القطب الشيخ عبد القادر الجيلاني:

وكان من عادة الأجداد والآباء أن يعقبوا رحلات الحج بزيارة مقام الشيخ عبد القادر الجيلاني، كما فعل والد الشيخ محي الدين، الشيخ مصطفى المختاري. وعلى هذا النهج، ارتحل الشيخ محي الدين وابنه الأمير عبد القادر بعد إتمامهما مناسك الحج مع ركب الحجيج الشامي[66]، فوَصلا إلى دمشق وأقاما فيها أربعة أشهر في ضيافة الشيخ خالد النقشبندي، الذي كان قد رافقهما في العودة من الحج. وخلال هذه المدة نهل عبد القادر ووالده من علوم شيوخ دمشق، وتعلما تعاليم الطريقة النقشبندية عن الشيخ خالد ونائبه الشيخ محمد بن عبد الله الخاني، كما سمعا جزءًا من صحيح البخاري عن الإمام الشيخ عبد الرحمن الكزبري[67].

وبعد هذه الإقامة في الشام، توجّه الشيخ محي الدين مع ابنه إلى بغداد لزيارة مقام القطب سيدي عبد القادر الجيلاني قدّس الله سره. وهناك استقبلهما حفيد الشيخ الجيلاني القائم على المقام والمدرسة، ولبسا الخرقة القادرية، وأقاما ثلاثة أشهر تواصلا خلالها مع علماء بغداد وأوليائها. وقد وصف محمد باشا هذه الزيارة بقوله: «**واجتمع في هذه الرحلة بكثير العلماء والأولياء، وأخذ عنهم وأخذوا عنه... ولبس الخرقة القادرية من يد نقيب الأشراف وخليفة سيدنا الشيخ قدس سره**»[68].

2.6. العودة الى مكة " الحجة الثانية" :

وكان من عادة المغاربة أن يُطيلوا إقامتهم في المشرق الإسلامي ليؤدوا الحج مرة ثانية في العام التالي، استثمارًا لمشقة الرحلة البعيدة. وغالبًا ما كان العلماء يستغلون هذه الإقامة لمجالسة علماء مكة والمدينة والشام وحضور مجالسهم العلمية. وقد اقتفى الشيخ محي الدين هذا النهج، فبعد زيارته بغداد قفل عائدًا مع ابنه إلى دمشق، ومنها انضمّ مجددًا إلى ركب الحجيج متوجهًا إلى مكة المكرمة حيث أدّى مناسك الحج للمرة الثانية سنة1243هـ/ 1827م وبعدها توجّه مع ابنه إلى المدينة المنورة ومنها عادا إلى الجزائر عبر مصر، ثم مرّا ببرقة حيث توقفا عند ضريح الجد والوالد الشيخ مصطفى بن المختار للزيارة والتبرك. ثم تابعا رحلتهما عبر طرابلس وتونس حتى دخلا الجزائر[69].

3.6. العودة الى القيطنة:

عاد الشيخ محي الدين إلى الجزائر أوائل سنة 1243هـ/1828م[70]، وتوجّه أولًا إلى الجزائر العاصمة حيث استقبله الداي واحتفى به وأكرم ضيافته. وبعد فترة قصيرة من الاستراحة، شدّ الرحال مع ابنه إلى القيطنة، حيث أقيم له استقبال حافل. فقد عجّت البلدة بالوفود من مختلف أنحاء البلاد، وذُبحت الذبائح، ونُصبت الخيام للمبيت، وساد جو من الابتهاج والسرور بقدومه.

ورغم هذا الاحتفاء الشعبي الكبير، آثر الشيخ محيي الدين الاعتزال والانشغال بالعبادة والذكر. وقد وصف محمد باشا هذه المرحلة بقوله: «**ثم أقام في منزله معتزلًا عن جميع الأعمال، مشتغلًا بعبادة ذي الجلال، عاكفًا على بث علوم الشريعة والحقيقة وإشهار الأذكار والطريقة**»[71].

7. استنجاد الباي حسن بالشيخ محي الدين:

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، أخذت الأخبار السيئة تتواتر إلى الشيخ محيي الدين مع توسّع الاحتلال وبسطه سيطرته على مناطق واسعة من بايليك التيطري وصولًا إلى بايليك الغرب. وفي تلك الأثناء كان باي وهران، حسن بن موسى، قد أبدى خضوعًا للفرنسيين، فلم يقاومهم، وأظهر استعداده للتفاوض معهم. وقد أثار هذا الموقف استياء القبائل، التي عارضته وحاصرته في وهران مع ثمانمائة جندي مخزني ظلوا يحرسونه. وأمام هذا الوضع، لم يجد الباي بُدًّا من التفكير في الاستعانة بالشيخ محيي الدين. وقد ذكر تشرشل أن الباي «**أرسل إلى محيي الدين وتوسل إليه أن يحميه**»[72]. ورغم العداء السابق بين الرجلين، فإن الشيخ استجاب لطلبه، مدفوعًا بخُلقه العالي وتمسكه بدينه وشهامته، غير أنّه فضّل أن يستشير أهله وقبيلته قبل اتخاذ موقف نهائي.

وعندما عاد إلى القيطنة وعرض الأمر على مجلس القبيلة والعائلة، أبدى أغلب الحاضرين تأييدهم لمساعدة الباي، انطلاقًا من قيم شهامة العرب. غير أنّ عبد القادر كان له رأي آخر، إذ وقف أمام الجمع محللًا الموقف، مبيّنًا تبعات مساعدة الباي على أمن البايليك واحتمال جرّ القبائل إلى صراع لا طائل منه. كما أكّد أن سمعة الباي السيئة بين القبائل ستزيد من خصوماتهم، وتجعلهم في مواجهة مفتوحة هم في غنى عنها[73].وقد أثّر هذا التشخيص الواضح والنظرة الثاقبة التي أظهرها الأمير في قرار المجلس، فتم رفض طلب الباي وإبلاغه بذلك عبر مبعوث خاص.

وفي الوقت ذاته، كان الباي قد استسلم بالفعل للفرنسيين، فكاتبهم وسمح لهم بدخول وهران بعد أن غادرها أغلب أهلها. وفي 4 يناير 1831م دخل القائد الفرنسي دامرمون إلى المدينة. وظل الباي لفترة قصيرة تابعًا للفرنسيين دون سلطة فعلية، ثم نُفي في 12 جمادى الأولى 1238هـ/1832م من وهران إلى الجزائر العاصمة، ومنها إلى الإسكندرية، حيث أقام إلى أن توفي، شأنه شأن الداي حسين[74].

8. وفاته:

وفي يوم الأحد 03 ربيع الأول 1249هـ، الموافق لـ 21 يوليو 1833م، توفي الشيخ القطب محيي الدين عن عمر ناهز سبعة وخمسين عامًا[75]. وقد شيّع جنازته ابنه الأمير عبد القادر مع أهالي القيطنة، ودُفن في مقبرة جده الثالث الشيخ عبد القادر المعروف بـ سيدي قادة في منطقة غريس[76].

9. خاتمة: من خلال هذا البحث، وتتبع سيرة الشيخ محيي الدين وعلاقته بالسلطة العثمانية أواخر العهد العثماني، توصّلنا إلى جملة من النتائج الهامة، وهي:

تبيّن أنّ الطريقة القادرية في بايليك الغرب تمتعت بنفوذ واسع وتأثير كبير، بفضل كثرة أتباعها ومريديها، وقيادتها الحكيمة على يد الشيخ محيي الدين، الذي اهتم بتدريس مختلف العلوم الشرعية واللغوية، وغرس القيم الروحية والاجتماعية. وقد تحوّلت الزاوية القادرية بفضله إلى مركز إشعاع حضاري وثقافي، امتد أثره إلى مناطق بعيدة حتى عمق الصحراء.

كما أسهمت شخصية الشيخ محيي الدين ومكانته العلمية والاجتماعية في فرض علاقة خاصة مع السلطة العثمانية، تأثرت بظروف المنطقة وأوضاعها العامة، فتراوحت بين التعاون والسلم تارة، والتوتر والعداء تارة أخرى.

واتجهت السلطة العثمانية أواخر عهدها إلى مواجهة الطرق الصوفية عمومًا، خاصة مع تزايد تمردات الدرقاويين والتيجانيين، مما جعلها تنظر إلى الطرق الصوفية بقلق، وتخشى من توسع دائرة نفوذها في بايليك الغرب. ومع ذلك، فقد غلب على العلاقة بينها وبين الشيخ محيي الدين خلال بدايات القرن التاسع عشر الحذر المشترك أكثر من المواجهة المباشرة.

وتميزت علاقة الشيخ محيي الدين بالباي حسن بن موسى، آخر بايات وهران، في بدايتها بالتعاون والاحترام، استمرارًا للتقليد الذي رسخه الباي محمد الكبير وهو إكرام شيوخ القادرية تقديرًا لنفوذهم الكبير. غير أنّ هذه العلاقة سرعان ما اتجهت نحو العداء والتوتر، خاصة بعد منع الشيخ من أداء الحج ووضعه رفقة ابنه تحت الإقامة الجبرية، وذلك بفعل أثر التمردات من جهة، وتخوف الباي من مكانة الشيخ ونفوذه من جهة أخرى.

كما ساهمت السياسة التعسفية التي انتهجتها السلطة العثمانية تجاه العلماء والأولياء والطرق الصوفية والأهالي في تعميق الشرخ بين الطرفين. وقد تجلّى ذلك حين رفضت قبائل عديدة، وفي مقدمتها قبيلة الشيخ محيي الدين، مساعدة الباي في محنته. وكان لهذا الموقف انعكاس سلبي على مسار الأحداث، إذ سهّل سقوط بايليك الغرب في يد الاحتلال الفرنسي، واستسلام الباي حسن، وبداية مرحلة جديدة من تاريخ الجزائر تمثّلت في الجهاد ضد الاحتلال، وهو ما سيقوده لاحقًا الأمير عبد القادر.

10. الهوامش

[1] صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر: تاريخها ونشاطها، بيروت: دار البراق، 2002، ص 145.

[2] Louis Rinn, *Marabouts et Khouans, étude sur l'Islam en Algérie*, Alger: Adolphe Jourdan, Libraire-Éditeur, 1884, p. 178.

[3] الصديق تياقة ساقني عبد الجليل «الطريقة القادرية كمنهج في التصوف بالجزائر"، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، المجلد 9، العدد 18، 2019، ص. 167.

[4] صلاح مؤيد العقبي، مرجع سابق، ص. 146.

[5] نفسه، ص 132.

[6] معمر طالي سميرة، القوى المحلية في بايليك الغرب الجزائري في أواخر العهد العثماني 1206-1246هـ/1792-1831م، الجزائر: قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2010، ص 127.

[7] بن يوسف التلمساني، الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني، الأمير عبد القادر، الإدارة الاستعمارية) 1782-1900م، أطروحة دكتوراه، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1998، ص 97.

[8] أحميدة عميراوي، رسالة في الطريقة القادرية في الجزائر، عين مليلة: دار الهدى للطباعة والنشر، 2003، ص. 27.

9 الشيخ مصطفى بن المختار الغريسي: هو والد الشيخ محي الدين وجد الأمير عبد القادر، هاشمي النسب، تربى يتيما بعد استشهاد والده " محمد المجاهد " ضد الاسبان بوهران سنة ، نشأ الشيخ مصطفى في كنف اعمامه واخواله بمنطقة غريس، ودرس على يد شيوخها وعلماءها، وجمع مختلف العلوم واصبح من كبار علماء المنطقة، تلقى الشيخ مصطفى تعاليم الطريقة القادرية عند زيارته لبغداد فلبس الخرقة القادرية، يعتبر مؤسس الزاوية القادرية بمنطقة القيطنة بغريس، وهي من اقدم الزوايا الصوفية في الجزائر، سافر الشيخ مصطفى بن المختار لأداء مناسك الحج، وبعد رجوعه من حجته الثانية وفي طرابلس الغرب توفي بمنطقة برقة1212هـ/1797م وضريحه هناك ، انظر: محمد باشا الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر "سيرته السيفية"، ج1، الإسكندرية: المطبعة التجارية، 1903، ص ص301، 302، انظر أيضا: بلهاشمي بن بكار، مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، تلمسان: المطبعة الخلدونية، 1961، ص. 150

[10] القيطنة: هي قرية تقع غرب وادي الحمام بمعسكر، قريبة حاليا من حمام بوحنيفية، أسس بها الشيخ مصطفى بن المختار الغريسي زاويته القادرية، لتصبح مركز اشعاع في الغرب والجزائر ككل، ومقصد العلماء والطلبة. انظر: يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، تونس: الدار العربية للكتاب، 1983، ص41

[11] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، الجزائر: عالم المعرفة، 2017، ص. 514.

[12] صلاح مؤيد العقبي، مرجع سابق، ص. 148.

[13] بلهاشمي بن بكار، مصدر سابق ص. 150.

[14] مصطفى بن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، ج1، تق و تح و تع، يحي بوعزيز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995، ص. 47.

[15] A. Bellemare, *Abd el Kader, sa vie politique et militaire*, Paris: Librairie de L. Hachette, 1863, pp. 13–14

[16] محمد باشا الجزائري، مصدر سابق، ص. 297.

[17] عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ج2، بيروت: دار صادر، 1993، ص 1490، انظر أيضا: يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1995، ص 1490.

[18] نفسه، ص 245.

[19] الشيخ محمد السعيد، العجالة في ذكر نبذة من سيرة الوالد الشيخ محيي الدين الحسني وذكر رشفة من مآثر الأمير عبد القادر الجزائري وجهاده، تحقيق عبد الرحمان الدويب، المجلد الأول، رويبة: دار الوعي للنشر والتوزيع، 2024، ص. 71.

[20] أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري 1808-1847، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1993، ص. 67.

[21] مصطفى بن محيي الدين، إرشاد المريدين إلى طريق الواصلين، دراسة وتح صلاح الدين بن نعوم ، المدية: دار السادة المالكية، 2022، ص. 25-24.

[22] نفسه ، ص 23.

[23] محمد باشا الجزائري، مصدر سابق، ص 302.

[24] Bellemare, *Op. cit.*, p. 11

[25] Ibid, p. 303

[26] بلعربي خالدي، من مشيخة الطريقة القادرية إلى زعامة المقاومة الوطنية المسلحة 1776م-1833م، مجلة آفاق للعلوم، ع 6، 2017، ص 72.

[27] محمد الأعرج الغريسي الفاسي، تسهيل المطالب لبغية الطالب، ضمن كتاب بلهاشمي بن بكار: مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، تلمسان: المطبعة الخلدونية، 1961، ص 401.

[28] مصطفى بن التهامي، مرجع سابق، ص 45.

[29] الشيخ محمد السعيد، مرجع سابق، ص 72.

[30] عبد الرزاق البيطار، مرجع سابق، ص 1490.

[31] نفسه ، ص 1491.

[32] برونو إتيان، عبد القادر الجزائري، ج2، بيروت: دار الفارابي، 1997، ص 47.

[33] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 427.

[34] بلهاشمي بن بكار، مصدر سابق، ص 150.

[35] قدور بوجلال، مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايليك الغرب فترة الدايات 1671-1830، وهران: رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث،جامعة وهران، 2017، ص 177.

[36] محمد باشا الجزائري، مصدر سابق، ص 76.

[37] Bellemare, *Op. cit.,* p. 20.

[38] هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتحرير أبو القاسم سعد الله، تونس: الدار التونسية للنشر، 1874، ص 42.

[39] محمد باشا الجزائري، مصدر سابق، ص 77.

[40] برونو إتيان:، مرجع سابق، ص 67-68.

[41] الباي حسن: هو الباي حسن بن موسى الباهي، آخر بايات الغرب الجزائري تولى حكم بايليك الغرب بعد تعيينه من طرف الداي علي باشا خلفا لعلي قارة باغلي سنة 1232هـ/ 1817م، اشتغل في بداية مشواره طباخا للجند، ثم اعتلى القيادة على راس قبيلة فليتة ثم بايا، كان في اول عهده محبا للناس رحيما بالعلماء، لكنه تغير طبعه فزاد ظلمه وتسلطه على العلماء والاولياء في عهده انتهى الحكم التركي في بايليك الغرب، ودخل الاحتلال الفرنسي وسيطرة على البايليك. انظر في سيرته واعماله: محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، ج1، تحقيق وتعليق المهدي البوعبدلي، الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2013، ص ص 310 . 311 ، انظر أيضا: بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990، ص 347

[42] نصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ج2، الجزائر: دار البصائر، 2009، ص 298.

[43] محمد بن يوسف الزياني، مصدر سابق، ص 320.

[44] مصطفى بن محي الدين، مرجع سابق، ص 37.

[45] أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926-1246هـ/1519-1778م، الجزائر: دار الكتاب العربي، 2009، ص 255.

[46] بن عودة المزاري، مصدر سابق، ص 350.

[47] محمد باشا الجزائري، مصدر سابق، ص 302.

[48] محمد بوشنافي، موقف علماء معسكر من بعض القضايا السياسية للجزائر خلال العهد العثماني، ضمن كتاب معسكر المجتمع والتاريخ، ج1، سيدي بلعباس: مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 2014، ص 25.

[49] محمد باشا الجزائري، مصدر سابق، ص 302.

[50] نصر الدين سعيدوني: عصر الأمير عبد القادر، الكويت: مؤسسة سعود البابطين، 2000، ص 115، وينظر أيضًا:
Esterhazy: De la Domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, Paris: Librairie de Charles Gosselin, 1840, p. 217

[51] هنري تشرشل، مرجع سابق، ص 44.

[52] برونو إتيان، مرجع سابق، ص 91.

[53] بلعربي خالدي، مرجع سابق، ص 73.

[54] برونو إتيان، مرجع سابق، ص 90.

[55] هنري تشرشل، مرجع سابق، ص 43.

[56] بن عودة المزاري، مصدر سابق، ص 361.

[57] هنري تشرشل، مرجع سابق، ص 44.

[58] يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، مرجع سابق، ص 41.

[59] برونو إتيان، مرجع سابق، ص 90-91.

[60] Esterhazy, *Op. cit.*, p. 217

[61] محمد باشا الجزائري، مرجع سابق، ص 302-303.

[62] مصطفى بن محيي الدين، مرجع سابق، ص 35.

[63] يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، مرجع سابق، ص 42

[64] هنري تشرشل، مرجع سابق، ص 45

[65] محمد باشا الجزائري، مصدر سابق، ص 303.

[66] أحمد بن محيي الدين الحسني، سيرة الأمير عبد القادر الجزائري الحسني، الجزائر: مؤسسة الأمير عبد القادر الجزائري، 2020، ص 136.

[67] برونو إتيان، مرجع سابق، ص 113؛ نصر الدين سعيدوني: مرجع سابق، ص 157.

[68] محمد باشا الجزائري، مصدر سابق، ص 303-304

[69] يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ، مرجع سابق، ص 43.

[70] نصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 157.انظر أيضا: يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، مرجع نفسه،ص43

[71] هنري تشرشل، مرجع سابق، ص 45.

[72] نفسه ، ص 51.

[73] برونو إتيان، مرجع سابق، ص 134.

[74] بن عبد القادر مسلم، أنيس الغريب والمسافر، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974، ص 37.

[75] صلاح مؤيد العقبي، مرجع سابق، ص 145.

[76] مصطفى بن محيي الدين، مرجع سابق، ص 46.

قائمة المراجع

المراجع العربية

1 أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري 1808-1847، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1993.

2 أحمد بن محيي الدين الحسني، سيرة الأمير عبد القادر الجزائري الحسني، الجزائر: مؤسسة الأمير عبد القادر الجزائري، 2020.

3 أحميدة عميراو، رسالة في الطريقة القادرية في الجزائر، عين مليلة: دار الهدى للطباعة والنشر، 2003.

4 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، الجزائر: عالم المعرفة، 2017.

5 أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926-1246هـ/1519-1778م، الجزائر: دار الكتاب العربي، 2009.

6 بلهاشمي بن بكار، مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، تلمسان: المطبعة الخلدونية، 1961.

7 بلعربي خالدي، من مشيخة الطريقة القادرية إلى زعامة المقاومة الوطنية المسلحة 1776م-1833م، مجلة آفاق للعلوم، ع 6، 2017.

8 بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990.

9 بن عبد القادر مسلم، أنيس الغريب والمسافر، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974.

10 بن يوسف التلمساني، الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني، الأمير عبد القادر، الإدارة الاستعمارية) 1782-1900م، الجزائر: معهد التاريخ، جامعة الجزائر، أطروحة دكتوراه، 1998.

11 الصديق تياقة، ساقني عبد الجليل: " الطريقة القادرية كمنهج في التصوف بالجزائر،" مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، المجلد 9، العدد 18، 2019. .

12 قدور بوجلال :مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايليك الغرب فترة الدايات 1671-1830، وهران: رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2017.

13 محمد الأعرج الغريسي الفاسي :تسهيل المطالب لبغية الطالب، ضمن بلهاشمي بن بكار :مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، تلمسان: المطبعة الخلدونية، 1961.

14 محمد باشا الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر "سيرته السيفية"، ج1، الإسكندرية: المطبعة التجارية، 1903.
15 محمد باشا الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر "سيرته القلمية"، ج2، الإسكندرية: المطبعة التجارية، 1903.
16 محمد بوشنافي، وقف علماء معسكر من بعض القضايا السياسية للجزائر خلال العهد العثماني، ضمن كتاب معسكر المجتمع والتاريخ، ج1، سيدي بلعباس، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 2014.
17 مصطفى بن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1995.
18 معمر طالي سميرة، القوى المحلية في بايليك الغرب الجزائري في أواخر العهد العثماني 1206-1246هـ/1792-1831م، الجزائر: شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2010.
19 نصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، الكويت: مؤسسة سعود البابطين، 2000.
20 نصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ج2، الجزائر: دار البصائر، 2009.
21 يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، تونس: الدار العربية للكتاب، 1983.
22 يحي بوعزيز، إعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1995.
23 يوسف محمد بن الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، ج1، تحقيق المهدي البوعبدلي، الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2013.
24 الشيخ محمد السعيد، العجالة في ذكر نبذة من سيرة الوالد الشيخ محيي الدين الحسني وذكر رشفة من مآثر الأمير عبد القادر الجزائري وجهاده، تحقيق عبد الرحمان الدويب، المجلد الأول، رويبة: دار الوعي للنشر والتوزيع، 2024.
25 مصطفى بن محيي الدين، إرشاد المريدين إلى طريق الواصلين، دراسة وتحقيق صلاح الدين بن نعوم، المدية: دار السادة المالكية، 2022.

المراجع الأجنبية

26. A. Bellemare , *Abd el Kader, sa vie politique et militaire*, Paris: Librairie de L. Hachette, 1863.
27. Esterhazy, *De la Domination turque dans l'ancienne régence d'Alger*, Paris: Librairie de Charles Gosselin, 1840.
28. Louis Rinn,*Marabouts et Khouans, étude sur l'Islam en Algérie*, Alger: Adolphe Jourdan, Libraire-Éditeur, 1884.
29. Bruno Étienne: *Abdelkader, le musulman et l'Occident*, t. 2, Beirut: Dar El Farabi, 1997.
30. Henri Churchill:,*Vie d'Abd el-Kader*, trad. et éd. Abou El Kacem Saadallah, Tunis: La Maison Tunisienne de l'Édition, 1874.